الاستعارة القرآنية في رسائل الإمام علي (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة

طالبة الدكتوراه سمانه ناصرى

Naseri.samaneh@yahoo.com

الأستاذ المشارك الدكتور عبدالرضا عطاشى (الكاتب المسؤول)

abdolrezaattashi2014@gmail.com

جمهورية إيران الإسلامية

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة آزاد الإسلامية آبادان

The Quranic metaphor in the letters of Imam Ali (p) in the book of Nahj Al-Balagha

PhD student Samaneh Naseri
Associate Professor Abdolreza Attashi
Islamic Republic of Iran
Azad University of Abadan - Arabic Language and Literature Department

الملخص

عندما نبحث في رسائل الإمام علي (عليه السلام) الواردة في كتاب نهج البلاغة، نجد التوظيف الاستعاري بأنواعه المتنوع ظاهراً و بيناً و معظم هذه التعابير تُضاهي العبارات القرآنية في المعني و المبني. إنَّ الرسائل التي كان يكتبها الإمام علي (عليه السلام) لمعاوية بن أبي سفيان و قادة الجيش، تحمل طابع التهديد و التنديد و الأوامر القيادية. جاءت رسائل الإمام مزينة بالتركيب الاستعاري و الكنائي توحي بمدلولاتها و حقولها الدلالية إلي إشارات قرآنية. حاولنا في هذه الدراسة تطبيق ما جاء في رسائل الإمام (عليه السلام) مع الآيات القرآنية ذات المشابهة لها. فوجدنا الاستعارة الأصلية و المكنية و التخييلية و الترشيح الملائم أيضاً إلي إلي الاقتباس من القرآن الكريم مع فارق قليل في العبارة المتخذة من قبل الإمام في الرسائل.

الكلمات المفتاحية : التحليل البلاغي – الرسائل – الاستعارة – القرآن الكريم .

Abstract

When we look at the letters of Imam Ali (p) in the book of Nahj Al-Balagha, we find the metaphorical employment of its various types, apparent and evident, and most of these expressions correspond to the words of the Qur'an in the mind and the building. The letters written by Imam Ali (p) of Mu'awiyya ibn Abi Sufiyyan and the commanders of the army bore the character of intimidation, denunciation, and commanding orders. The letters of the imam were decorated with a metaphorical and descriptive structure that suggested their meanings and fields were indicative of Qur'anic signs. In this study, we tried to apply what was stated in the Imam's (p) letters with the Qur'anic verses that are similar to them. We found the original metaphor, the possibility, the deception, and the appropriate justification also to quote from the Qur'an with little difference in the words taken by the imam in the letters.

Keywords: rhetorical analysis , letters , metaphor , holy Quran .

١ ـ الاستعارة في الرسالة الثامنة نهج البلاغه

كتب الإمام علي (عليه السلام) إلي جرير بن عبد الله البجلي و فيه تهديد لمعاوية علي القتال أو البيعة:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ وَ إِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَ السَّلَامُ».

تحليل و تطبيق الاستعارة: نري الإمام (عليه السلام) قد وظف في كتابته العبارات و المفردات القرآنية ذات دلالات استعارية منها: «فَانْبِذْ إِلَيْهِ» و هي عبارة قرآنية استخدمها الإمام بصيغة المفرد. و كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (انفال، ٥٨).

الاستعارة المكنية التخييلية: في قوله تعالى: «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً» فالخوف مستعار للعلم، أي و إما تعلمن من قوم معاهدين لك نقض عهد فيما سيأتي بما يلوح لك منهم من الدلائل «فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ».

٢ ـ فن الإشارة: في قوله تعالى: وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ و بعضهم يدرجه في باب الإيجاز لأنه تفرع عنه، و لكن قدامة فرعه من ائتلاف اللفظ مع المعنى، و شرحه هو أن يكون اللفظ القليل دالا على المعنى الكثير، حتى تكون دلالة اللفظ على المعنى كالإشارة باليد، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة لو عبّر عنها بأسمائها احتاجت الى عبارة طويلة و ألفاظ كثيرة.

فقوله تعالى فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ تشير الى الأمر بالمقاتلة بنبذ العهد كما نبذوا عهدك، مع ما يدل عليه سال. مر بالمساواة في الفعل من العدل، فإذا أضفت الى ذلك ما تشير إليه كلمة خيانة من وجود معاهدة سابقة، تبين لك ما انطوت عليه هذه الإشارات الخفية من دلالات كأنها أخذة السحر (صافي، ١٤١٨، ١٠،: ٢٥).

وعبارة الإمام (عليه السلام) «وَ إِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ» هي مسعارة من الآية الكريمة حيث تقول: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (انفال، ٦١).

ورد في هذه الآية قوله تعالى: وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ السلم هو الصلح، و هو شيء معنوي، و لكن التعبير القرآني يجسده كأنما هو شيء محسوس، باستخدام الفعل (جنح). و من ناحية أخرى فإن الفعل جنح يرسم بجرسه .و معناه و ما ينشئه في الخيال معنى الميل و العطف على الصلح و السلام، فهنا يبلغ التصوير و التجسيد منتهاه، و يتتبع الخيال صورة الصلح و الميل نحوه كأنه حاضر ماثل. و لو حاولنا أن نستبدل بالفعل جنح فعلا آخر يرادفه أو يقاربه في المعنى لاختفت تلك الصورة و ماتت فيها الحركة و الحياة، و من هنا يكمن السحر و الإعجاز في كلام اللّه عز و جل، فقد جاء اختيار الكلمة أو الفعل أو الحرف في موضع هو له لا يمكن تبديله أو تغييره، و كأنما وضعت الكلمة بميزان، و نزلت في مكانها المخصص تنزيلا». (صافي، ١٤١٨، ج١٠، ص: ٢٥٨).

٢ ـ الاستعارة في الرسالة التاسعة

كتب الإمام علي (عليه السلام) إلي معاوية قائلاً:

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَ فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ» (نهج البلاغه، نامه ٩).

تحليل و تطبيق الاستعاره: ينوه الإمام (عليه السلام) إلي معاداة أعداء الإسلام و بيت النبوة حيث استعملوا شتي الطرق لمعاداة الإسلام وهة مؤامرة قتل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) و الحصار الجائر في شعب أبي طالب و إعلان الحرب. فينوه الإمام (عليه السلام) إلي تلك الأحداث الجسيمة و الخطيرة مستعيرا بعض المفردات و العبارات القرآنية منها: «كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» فإيقاد النار كناية عن إرادة الحرب، و قد كانت العرب إذا تواعدت للقتال جعلوا علامتهم إيقاد نار على جبل أو ربوة و يسمونها نار الحرب، و إطفاؤها عبارة عن دفع شرهم، و إضافة الإطفاء إليه تعالى إضافة المسبب إلى السبب الأصلي. (صافي، ١٤١٨ ، ٦: ٤٠٣).

قد أخذ الإمام (عليه السلام) مراده من الآية الكريمة: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (مائده، ٦٤).

و في الآية تجود كناية: فإيقاد النار كناية عن إرادة الحرب، و قد كانت العرب إذا تواعدت للقتال جعلوا علامتهم إيقاد نار على جبل أو ربوة و يسمونها نار الحرب، و إطفاؤها عبارة عن دفع شرهم، و إضافة الإطفاء إليه تعالى إضافة المسبب إلى السبب الأصلي (صافي، ١٤١٨، ٦: ٤٠٣).

٣ ـ الاستعارة في الرسالة العاشرة

في المكتوب رقم عشرة يذم الإمام علي (عليه السلام) معاوية و ينوه إلي الترف و البذخ و الأعمال الغير مرضية من قبل معاوية و يصفه بأعماله الشيطانية: «فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ» (نهج البلاغه، مكتوب، خ ١٠).

نجد في العبارات المذكورة طرق نفوذ الشيطان لبعض العباد و تسخيرهم. فيحذر الإمام (عليه السلام) معاوية من أفعاله الشيطانية مقتبساً ذلك من القرآن الكريم:

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(اسراء، ٦٤).

و استخفّ و استنفر من تريد من العباد بدعوتك إلى المعاصي، بكل ما أوتيت من قوة و إغراء و وسوسة، و المراد بقوله: بِصَوْتِكَ أي بدعائك إلى معصية الله تعالى و اجمع عليهم جندك فرسانا و مشاة، و هذا تمثيل يراد به: التسليط عليهم بكل ما تقدر عليه من القوة، و اجمع لهم كل مكايدك، و لا تدخر وسعا في إغوائهم، مستخدما كل الأتباع و الأعوان.

و شاركهم في الأموال و الأولاد بتحريضهم على كسب المال و إنفاقه في المعاصي، من لهو و مجون و ربا، و خمور، و فواحش، و قتل و تخريب، و نحو ذلك، و قوله سبحانه وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال، فذلك هو حظ إبليس. و قوله عز و جل وَ الْأَوْلادِ عام لكل ما يصنع من أمر الذرية في المعاصي، بالإنجاب الحرام كالزنى و غيره، و بالوأد للبنات الذي كانت بعض العرب تفعله، و صبغ الأولاد في ملل الكفر و الضلال.

وعدهم المواعيد الكاذبة الباطلة، من شفاعة الآلهة المزعومة، و منّهم بما لا يتم لهم، و بأنهم غير مبعوثين، فهذه مشاركة في النفوس. ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يعدهم الشيطان غرورا منه، أي كذبا و باطلا في صورة الحق، فمواعيد الشيطان كلها خدعة و تزيين كاذب، لأنه لا يغني عنهم شيئا» (الزحيلي، ١٤٢٢، ج٢، ص: ١٣٦).

- في قوله تعالى: «وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ». نجد لاستعارة التمثيلية: فالآية مثّلت حال الشيطان، حيث أن استفزازه بصوته و إجلابه بخيله و رجله، تمثيلا لتسلطه على من يغويه، فكأن مغوارا وقع على قوم، فصوت بهم صوتا يزعجهم من أماكنهم، و أجلب عليهم بجنده من خيالة و رجالة، حتى استأصلهم» (صافي، ١٤١٨، ج١٥، ص: ٨٣)

٤ ـ الاستعارة في الرسالة الثانية عشر

في وصية الإمام علي (عليه السلام) لمعقل بن قيس رياحي نجده يستعير العبارات القرآني و ذلك في قوله: «وَ لاَ يَحْمِلَنَّكُمُ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ». (نهج البلاغه، مكتوب ١٢).

تحليل و تطبيق الاستعاره:

نري الإمام في وصيته الدستورية يوظف عبارة : « وَ لاَ يَحْمِلَنَّكُمُ شَنَآنُهُمْ » مع فارق قليل و هي عبارة مستعارة من الآية الكريمة حيث تقول: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (مائده، ٢). أي و لا يحملنكم شَنَآنُ قَوْمٍ أي بغضاء قوم أَنْ صَدُّوكُمْ أي لأن صدوكم، أي لأجل انهم صدوكم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ يعني النبي و أصحابه لما صدوهم عام الحديبية أَنْ تَعْتَدُوا و معناه: لا يكسبنكم بغضكم قوما الإعتداء عليه (دخيل، ١٤٢٢، ص: ١٤٠).

٥ ـ الاستعارة في الرسالة الخامسة عشر

و من دعاء له ع كان ع يقول إذا لقي العدو محارباً

«اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا

نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا- رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ». (نهج البلاغة، مكتوب ١٥)

الدعاء المذكور ملئ بالتراكيب الاستعارية و قد اختتم الإمام (عليه السلام) دعاءه بالآية القرآنية

تحليل و تطبيق الاستعاره:

إن الأفعال المستخدمة في العبارة و هي: «أَفْضَتْ» بدل «انتهت و وصلت. و «أَنْضَيْتُ» بمعني أبليت بالهزال و الضعف في طاعتك. فيها استعارة تبعية. و كذلك الكناية في عبارة: «صرّحَ مكنونُ الشّنآن به معناي صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء و فعل «جاشت » بدل غلت تعتبر استعارة تبعية. و من جتنب آخر نجد اختتام العبارات بالدعاء هو مأخوذ من الآية الكريمة حيث تقول: ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾(اعراف، ٨٩) أي اقض بيننا و بين قومنا بالعدل. و روى قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما معنى قوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب تعال أفاتحك يعني: أخاصمك. و قال القتبي: الفتح أن تفتح شيئا مغلقا كقوله:﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ﴿الزمر: ٧٣﴾ و سمي القضاء فتحا لأن القضاء فصل للأمور و فتح لما أشكل منها وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ يعني: خير الفاصلين (سمرقندي، ج١، ص: ٥٣٣).

٦ ـ الاستعارة في الرسالة السابعة عشر

و في جواب له (عليه السلام) إلي معاوية نراه ينهاهه عن اتخاذ سبيل الشيطان قائلاً:

«فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً وَ لاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً. وَ اَلسَّلاَمُ» (نهج الباغة، مكتوب ١٧). لقد جاء هذا المضمون في القرآن الكريم حيث حصل الخطاب بين الرب و الشيطان الرجيم بقوله: ﴿ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (نساء، ١١٨).

تحليل و تطبيق الاستعاره:

حول كلمة «مفروضاً» و إيحاءات هذه المفردة جاء في تفسير التحرير و التنوير: « أنّ اللّه خلق في الشيطان علما ضروريا أيقن بمقتضاه أنّ فيه المقدرة على فتنة البشر و

تسخيرهم، و كانت في نظام البشر فرص تدخل في خلالها آثار فتنة الشيطان، فذلك هو النصيب المفروض، أي المجعول بفرض اللّه و تقديره في أصل الجبلّ(ابن عاشور، ج٤، ص: ٢٥٧).

معنای کلمه: (لَأَتَّخِذَنَّ) که در جمله: (قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً) میباشد این است: شیئی را که مي گـيرم بمن اختصاص خواهد داشت و معنی: نصیبا مفروضا این است که معلوم و محدود باشد (نجفي خميني، ١٣٩٨، ج٣، ص: ٣٩٤).

٧ ـ الاستعارة في الرسالة الثانية و العشرين

و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى و كان عبد اللّه يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى اللّه عليه و آله كانتفاعي بهذا الكلام

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَ لْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً وَ لْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ». (نهج البلاغه، نامه ٢٢).

جاءت رسالة الإمام مزينة بالعبارات القرآنية و التعاليم الربانية. قد جاءات العبرات القرآنية لتسلية الخاطر و إيجاد الطمئنينة في قوله تعالي: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(الحديد، ٢).

لو قارنا بين عبارات الإمام (عليه السلام) و الغبارات القرآنية لوجدنا الاتساق التام في المضمون حيث لا تألم علي ما فات ولا فرح بما هو آت.

٨ ـ الاستعارة في الرسالة السابعة و العشرين

كتب الإمام علي (عليه السلام) إلي محمد بن أبي بكر مبيناً له حقيقية الموت مستخدماً التعابير الاستعارية قائلاً:

«وَ أَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَ هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمُ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ فَاحْذَرُوا ناراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ» (نهج البلاغه، نامه، ٢٧).

قد أخذت هذه التعابير من المضامين القرآنية حول الموت فقد جاء في الذكر الحكيم:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (جمعه، ٨)

وكذلك في وصف قعر جهنم و شدة حرها:

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾. (توبه، ٨١).

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (بقـــره، ٢٤)

٩ ـ الاستعارة في الرسالة الثامنة و العشرين

نجد الإمام علي (عليه السلام) في أحد رسائله إلي معاوية بن أبي سفيان يذكر عبارة «

«وَ منَّا خَيْرُ نِساءِ الْعالَمينَ وَ منْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ في كَثيرٍ ممَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وَ جَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ». (نهـج البلاغـه، مكتـوب، ٢٨)

«وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» (مسد، ٤)

تحليل و تطبيق استعاره: «حمالة الحطب» حَمَّالَةُ الْحَطَبِ الواردة في القرآن علي سبيل التعيير و التهكم بأصل معاوية و هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان . «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» كانت تحمل الشوك و العضاة فتطرحه في طريق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذا خرج إلى الصلاة ليعقره (دخيل، ١٤٢٢، ص: ٨٣١).

الاستعارة: في قوله تعالى «وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ». يقال لمن يمشي بالنميمة: يحمل الحطب بين الناس، أي يوقد بينهم التباعد، و يورث الشر، فالحطب مستعار للنميمة، و هي استعارة مشهور (صافي، ١٤١٨،٣٠: ٤٢٢).

١٠ ـ الاستعارة في الرسالة الثالثة و الثلاثون

و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

يصف الإمام علي (عليه السلام) الذين لا يدركون الحقيقية و قد أصيبوا بالغفلة و العمي مستخدما في ذلك الوصف القرآني لبيان خال هولاء المغفلين:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ وَ لاَ يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ وَ لاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً وَ لاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً. وَ السَّلاَمُ». (نهج البلاغه، مكتوب ٣٣).

فالتراكيب و العبارات المستخدمة من قبل الإمام و هي «الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» مأخوذة من الذكر الحكيم حيث وصف الذين لايفقهون و لايبصرون و لا يسمعون الحقيقية علي الرغم من امتلاكم للقلوب و الأسماع و الأبصار المادية:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (اعراف، ١٧٩).

و كذلك قوله تبارك و تعالي عن الذين يتبعون الأقوان دون وعي و دراية:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (بقره، ١٧١).

و في عبارة وجيزة و وصف رائع عن حالهم يقول: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (بقره، ١٨). و الإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ شبهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث و ذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دال على جمع، فالمعنى كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى و ليس المعنى على التوزيع فلا

يفهم أن بعضهم كالأصم و بعضهم كالأبكم و بعضهم كالأعمى، و ليس هو من الاستعارة عند محققي أهل البيان (ابن عاشور، ج١، ص: ٣٠٩)

قال صاحب «الكشاف»: «فإن قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه و المحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور و هم المنافقون» (الزمخشري، ج١، ص: ٧٥). أي لأن الاستعارة تعتمد على لفظ المستعار منه أو المستعار له في جملة الاستعارة فمتى ذكرا معا فهو تشبيه، و لا يضر ذكر لفظ المستعار له في غير جملة الاستعارة لظهور أنه لو لا العلم بالمستعار له في الكلام لما ظهرت الاستعار.

١١ ـ الاستعارة في الرسالة الرابعة و الأربعون

و في كتاب له إي زياد بن أبيه

«وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَ يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَ يَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ وَ قَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَ نَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ وَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ وَ النَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ».». (نهج البلاغه، نامه ٤٤).

تحليل و تطبيق الاستعاره:.

استخدم الإمام علي (عليه السلام) العبارات القرآنية و استعار مضامينها لبيان حالة معاوية العدائية المتلبسة بصفات الشيطان وهي « يَسْتَزِلُّ، هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ، نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ»

و قد جاءت عبارت : المضاهية في الدلالة مع فعل: «اسْتَزَلَّهُمُ» بصيغة الماضي في وله تبارك تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾(آل عمران، ١٥٥)..

قد بين الإمام علي (عليه السلام) حالات نفوذ معاوية في اذهان الناس و المخالفين و هي تشبه حالة نفوذ الشيطان من الجهات المتعددة و قد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تبارك

تعالي: « ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ» (اعراف، ١٧). أي من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها، و المراد لأسوّلن لهم و لأضلنهم بقدر الإمكان إلا أنه شبه حال تسويله و وسوسته لهم كذلك بحال إتيان العدو لمن يعاديه من أي جهة أمكنته و لذا لم يذكر الفوق و التحت إذ لا إتيان منهما فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية» (آلوسي، ١٤١٥، ج٤، ص: ٣٣٥).

إن عبارة (نزغة من نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ» التي وردة في رسالة الإمام هي مأخوذة من القرآن الكريم حيث جاءت في قصة يوسف (عليه السلام): ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(يوسف، ١٠٠)

و كذلك ذكرت لفظة « يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ» علي شكل الفعل المضارع الدال علي الاستمرارية في قوله تبارك و تعالي: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(اسراء، ٥٣) فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، و بالرد السيّء يتلوها فإذا جو الود و المحبة و الوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء. و الكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندّي جفافها، و تجمعها على الود الكريم. (سيد قطبف ١٤١٢، ج٤، ص: ٢٢٣).

١٢ ـ الاستعارة في الرسالة السادسة و الأربعون

و من كتاب له ع إلى بعض عماله

كتب الإمام علي (عليه السلام) إلي بعض عماله بعد التمجيد و بيان الخصال الحميده يطلب منه الاستعانة بالله دون غيره ثم بأسلوبه التعليمي يريد منه أن يجمع بين الشدة بشئ من اللين في المعاملات مع الناس:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ اَلْأَثِيمِ وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ اَلثَّغْرِ الْمَخُوفِ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ وَ اخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اَللِّينِ وَ اُرْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ وَ اعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لاَ تُغْنِي عَنْكَ إِلاَّ الشِّدَّةُ وَ اخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَ اُبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اَللَّحْظَةِ وَ اَلنَّظْرَةِ وَ اَلْإِشَارَةِ وَ اَلتَّحِيَّةِ حَتَّى لاَ يَطْمَعَ اَلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ وَ لاَ يَيْأَسَ اَلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ. وَ اَلسَّلاَمُ». (نهج البلاغه، مكتوب ٤٦).

نجد في الرسالة المذكورة أنواع العبارات القرآنية التعليمية استساغها الإمام في كتابته وزين به عباراته البليغة منها عبارت الضغث و اللين و الرفق و خفض الجناح و هي فردات مع تركيبها الجديد فيها دلالات كنائية و ايحاءات استعارية و قد أخذت من الآيات التالية:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾. (ص، ٤٤).

«الضغث في اللغة: القبضة من الحشيش اختلط فيها الرطب باليابس. و قيل: هي قبضة من عيدان مختلفة يجمعها أصل واحد» (الطنطاوي، ١٤٠٨، ج١٢، ص: ١٦٩). لقد أبدع الإمام علي (عليه السلام) عندما قرن بين الضغث و اللين و هذا تركيب جديد في نوعه.

در قسمت ديگر نامه فوق امام علي (عليه السلام) از يك ضرب المثل قرآني استفاده مي كند. جايي كه قرآن براي بيان نرمش وعطوفت به والدين عبارت «خفض جناح الذل» مي فرمايد:

«وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً». (اسرا، ٢٤).

الاستعارة المكنية و التخييلية: في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾.

حيث شبه الذل بطائر منحط من علو تشبيها مضمرا، و أثبت له الجناح تخييلا، و الخفض ترشيحا. فإن الطائر إذا أراد الطيران و العلو، نشر جناحيه و رفعهما ليرتفع،

فإذا ترك ذلك خفضهما و أيضا هو إذا رأى جارحا يخافه لصق بالأرض و ألصق جناحيه، و هي غاية خوفه و تذلله و قيل: المراد بخفضهما ما يفعله إذا ضم فراخه، للتربية، و أنه أنسب بالمقام (صافي، ١٤١٨، ج١٥، ص: ٣٤).

١٣ ـ الاستعارة في الرسالة الثانية و الخمسون

و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

«أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ اَلظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ اَلشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ اَلْعَنْزِ وَ صَلُّوا بِهِمُ اَلْعَصْرَ وَ اَلشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ اَلنَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ وَ صَلُّوا بِهِمُ اَلْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ اَلصَّائِمُ وَ يَدْفَعُ اَلْحَاجُّ إِلَى مِنًى وَ صَلُّوا بِهِمُ اَلْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى اَلشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اَللَّيْلِ وَ صَلُّوا بِهِمُ اَلْغَدَاةَ وَ اَلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَ صَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ». (نهج البلاغه، نامه ٥٢).

تحليل و تطبيق الاستعاره:

بين و فصل الإمام علي (عليه السلام) أوقات الصلواة المفروضة اليوميةوهي خمس صلواة كل علي حدة و هي أوقات معينة مذكورة في الذكر الحكيم و لكن الإمام ذكرها بشكل ملموس حيث ذكر فئ الشمس و مربض العنز و حيوية الشمس و وقت افطار الصائم و تواري الشفق و كلها تشبيهات ملموسة لدي المتلقي و كذلك نجد الإمام (عليه السلام) يوظف العبارات الكنائية منها مربض العتزو في الواقع هي استعارة تبعية مستخدمة في الفعل ربض و لا يقصد بذلك بروك العنز و إنا القصد من ذلك طل الظلال و الفئ عند مربظها.و كذلك حيوية الشمس و القصد صفارها الوهاج دون الذبول و معرفة الرجل صاحبه يراد به سفور الصبح الداخا في وقت الفجر.

مَرْبِضِ اَلْعَنْزِ و اَلشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ و وَاَلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ» وهي عبارات واضحة في الكناية .

نتائج البحث

من خلال البحث و التحرط في كتاب نهج البلاغة قسم رسائل الإمام علي (عليه السلام) حول الكشف عن الاستعارات الواردة و المضاهية لما جاء في الذكر الحكيم وصلنا إلي نتائج مرجوة و مفيدة و هيك

كان الإمام علي (عليه السلام) في رسائله التي يبعثها إلي معاوية أو القادة تحتوي علي مضامين ارشادية وتعليمة و فيها الحث علي الخير و الابتعاد عن المكروه و التجنب من العواقب الوخيمة مستخدما في ذلك التراكيب الاستعارية و العبارات الكنائية معظمه قد أخدت أو اقتبست من القرآن الكريم بما في ذلم الاستعارة المكنية و الاستعارة التبعية من خلال استبدا بعض الأفعال أو المشتقات و بعض الأحيان يميل الإمام إلي توظيف التعبيير الكنائي أو المجاز العقلي الداخل في سلك الاستعارة. وجدنا هذه الميزة ف رسائل الإمام إلي معاوية عندما كان يحذرة من الالتباس بالأعمال الشيطانية أو الابتزازية و كذلك في إرشادةو تعاليمة لبعض القادة و كذلك في تعيين وقت الصلواة الخمس نجد التعبير الكنائي و الاستعاري في وصف حال دخول الصلواة الخمس.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القران الكريم

نهج البلاغة

١. آلوسي، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤١٥ق.

٢. ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير و التنوير، بيروت: دارالفكر، ١٤١٤ق

٣. دخيل علي بن محمد علي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ١٤١٢ق.

٤. صافى محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآندمشق ـ بيروت: دار الرشيد مؤسسة الإيمان، ١٤١٨ق.

٥. زحيلى وهبة بن مصطفي، تفسير الوسيط، دمشق: دارالفكر، ١٤٢٢ق.
٦. الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دارالكتاب العربي، ١٤٠٧ق.
٧. سمرقندى نصربن محمد بن احمد، بحر العلوم، بيروت: دار الكت العلمية، ١٤٠٨ق
٨. سيد بن قطب بن ابراهيم شاذلي، في ظلال القرآن، بيروت ـ قاهرة: ١٤١٢دارالشروق، ١٤١٢ق.
٩. الطنطاوي، سيد محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، ١٤٠٨ق